محكم

دور "العبرية" لغةً وسيطةً في التواصل بين الثقافتين العربية والغربية

أحمد البهنسي

باحث مصري



قسم الدراسات الدينية

الملخّص:

لعبت العبريّة، وهي اللغة الطقسيّة للجماعات اليهوديّة، دور الوسيط اللغوي بين اللاتينيّة والعربيّة في العصور الوسطى، فقد عمل أعضاء الجماعات اليهوديّة على نقل التراث العلميّ الإسلاميّ وترجمته إلى اللغة العبريّة، ثم قاموا بنقل هذا التراث إلى اللاتينيّة مع بداية اهتمام الغرب بالعلوم والثقافة الإسلاميّة- العربيّة.

وكان أعضاء الجماعات اليهودية ولغتهم الطقسيّة (العبريّة)، من أهم حلقات الاتصال بين الثقافة الإسلاميّة والغرب، خاصّة قبل أن يهتم الغرب بالعربيّة اهتمامًا مباشرًا وينقل عنها مباشرة إلى اللغة اللاتينيّة، وهو عمل اشترك فيه أعضاء الجماعات اليهوديّة بحكم معرفتهم بالعربيّة وباللاتينيّة.

تبدّت أهم معالم دور "العبريّة" في التواصل بين الثقافتين العربيّة والغربيّة خلال العصور الوسطى، في ظهور "لغة خليطيّة" من العبريّة والعربيّة عُرفت باسم "اللغة اليهوديّة- العربيّة"، وهيّ لغة تُكتب بالعبريّة لكن بحروف عربية حتى لا يتمكن من قراءتها ومعرفة معانيها سوى اليهوديّ الذي يعرف العبريّة، التي هي لغة مقدسة بالنسبة إليه، وفي الوقت نفس يعرف العربيّة أيضًا بحكم معيشته في أوساط العرب والمسلمين في العصور الوسطى؛ إذ لعبت هذه اللغة دورًا مهمًا في حوار الثقافتين العربيّة والغربيّة وامتزاجهما إبان العصور الوسطى؛ إذ نُقلت إليها الكثير من المعارف والعلوم العربيّة، ومن ثم تم نقل هذه العلوم العربية، خاصة الفلسفة الرُشدية وعلوم الطب، إلى اللغات اللاتينيّة المختلفة.

"الحضارة" هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنّه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها[1].

ومن المعروف أنّ معظم الحضارات الإنسانية قامت على مبدأ "الاستيعاب والتجاوز"؛ إذ تقوم أيّ حضارة باستيعاب قيم الحضارة السابقة لها ومفاهيمها ومقوماتها، ومن ثم تستوعبها لتُكون معايير وقيمًا ومقومات حضارية جديدة خاصة بها؛ فالعقل البشري بشكل عام لديه قدرة عجيبة على استيعاب التراكم الحضاري السابق له ومن ثم تجاوزه بعد ذلك[2].

من أبرز الأمثلة على ذلك تجربة الحضارة الإسلامية العربية في القرون الوسطى، فبعد مرور قرن واحد من ظهور الإسلام وفي منتصف القرن الثاني يخترع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض وعلم اللغة، ثم يضع الشافعي علوم الفقه، وبعد ذلك ينطلق عدد كبير من علماء العرب والمسلمين في إرساء أسس العديد من العلوم والمعارف النظرية والتطبيقية والفلسفية وقواعدها[3]، وذلك بعدما تم استيعاب علوم الغرب الأوروبي وثقافاته ومعارفه التي كُتبت باللاتينية ومن أهمها علوم الطب والفلسفة، إلا أنّ علماء المسلمين تجاوزوا ذلك الكم الحضاري المستوعب وقاموا بوضع ثقافة أغنى وأعمق خاصة بالحضارة الإسلامية العربية الناشئة وتطويرها.

مع ذلك، فعملية الاستيعاب والتجاوز لابد وأن يكون لها "وسيط" أو وسيلة أو عامل مساعد أو ناقل حضاري، ويأتي في مقدمة هذه الوسائل والوسائط وأهمها "الترجمة" والتي لا تقتصر على كونها عملية نقل معان وأحرف فقط، بقدر ما هي عملية تواصل حضاري واتصال فكري ومعرفي[4]. فلا شك أنّ الترجمة عامل من عوامل حوار الثقافات ووسيلة للتعارف بين الأمم؛ فمن خلال الترجمة يمكن نقل المعارف والدراسات العلمية من أمة إلى أمم أخرى ومن لغة إلى لغات أخرى. ذلك أنّ الترجمة، ليست مجرد نقل نص من لغته

---

[1] حسين مؤنس(د)، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 45

[2] مرعي أبا زيد، حركة الترجمة في العصر الذهبي للحضارة العربية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2609، بتاريخ 2009/4/7، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=168091

[3] انظر: مجلة العربي، وجها لوجه..د/ أحمد أبو زيد وجورج طرابيشي، العدد 475، الكويت 1998، ص ص 15-34

[4] محمد عباسة: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، عدد 5-6، بيروت 1999، ص 53 وما بعدها.

الأجنبية إلى العربية أو العكس بل هي حركة ثقافية، بل وسياسية أحيانًا لها أهداف ودلالات محددة وتأثيرات واعية في أي محيط ثقافي أو اجتماعي تقع فيه أو تنتقل إليه[5].

فلا أحد ينكر ما للترجمة من دور بوصفها ضرورة معرفية في جميع اللغات منذ تاريخ البشرية، ذلك أنّ أهمية الترجمة في الحضارات الإنسانية لها تاريخ تليد ومجد أصيل. وقد كان لهذه الأهمية الخاصة بالترجمة في الثقافة العربية الإسلامية دور حضاري لا يمكن إغفاله أو تجاهله[6].

وفي القرون الأولى من نشوء الدولة الإسلامية، كان لعدد من الأقليات والطوائف التي أصبحت تحت حكم الدولة الإسلامية، دور "الوسيط" بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية اللاتينية، وكان من أهمهم "السُريان المسيحيون واليهود". فقد لعبوا بلغتهم السُريانية والعبرية دورًا مهمًا في نقل المعارف الغربية الإغريقية المكتوبة باللاتينية وترجمتها إلى اللغة العربية إمّا مباشرة أو عن طريق نقلها بداية إلى السُريانية والعبرية ومن ثم إلى العربية، وبعد ذلك لعب اليهود دورًا مهمًا في نقل المعارف العربية والإسلامية التي تشبعوا بها في ظل الدولة الإسلامية وخاصة في الأندلس إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية الحية، وذلك إما عن طريق ترجمتها من العربية مباشرة أو ترجمتها من العربية إلى العبرية أولاً ومن ثم إلى اللغات اللاتينية والأوروبية.

من خلال هذا البحث نركز على دور اليهود ولغتهم الدينية أو الطقسية الأساسية "العبرية" في التواصل بين الثقافتين العربية والغربية. وذلك على النحو التالي:

أولاً: عوامل قيام "اليهود والعبرية" بدور الوسيط بين الثقافتين العربية والغربية

وقفت العديد من الأسباب والعوامل وراء كون أعضاء الجماعات اليهودية ولغتهم "العبرية"- والتي توصف أحيانًا بلغة اليهود الطقسية أو الدينية؛ نظرًا لأنّها لم تكن لغة الجماعات اليهودية الأساسية على مر تاريخهم[7]- بمثابة "الوسيط" بين الثقافتين العربية والغربية؛ إذ يمكن القول إنّ دور "الناقل أو الوسيط الحضاري" يضاف إلى الوظائف التي عُرف عن أعضاء الجماعات اليهودية القيام بها على مر تاريخهم (مثل التجارة والمراباة والبغاء إضافة إلى التجسس)، لدرجة وصفهم البعض أنّهم- أي الجماعات اليهودية -

[5] محمد على أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية 1986، ص 89

[6] محمد عباسه، مرجع سابق، ص ص 55-56

[7] حول علاقة اليهود باللغة العبرية، انظر: الصفحات 8-10 من البحث، والتي تدور حول التعددية اللغوية لأعضاء الجماعات اليهودية، وصلات القرابة بين اللغتين العربية والعبرية.

بـ"الجماعات الوظيفية[8]" في المقام الأول، إذ كان لهذه الجماعات عدد من الوظائف والأدوار التي قامت بها على مر التاريخ الانساني.

وقد لعبت الكثير من العوامل التاريخية والثقافية بل واللغوية، دورًا فعالاً في أن يكون للجماعات اليهودية وللعبرية الدور الكبير في نقل المعارف والثقافة الإسلامية إلى الغرب وفي نقل المعارف الغربية اللاتينية إلى الشرق العربي الإسلامي.

يمكن حصر هذه العوامل والأسباب فيما يلي:

1- العصر الذهبي لليهود תור הזהב

أطلقت المصادر اليهودية على الإنتاج الفكري والأدبي والديني والفلسفي اليهودي خلال فترة العصور الوسطى التي شهدت تعايشًا بين الجماعات اليهودية وبين المسلمين في عدة مراكز ثقافية إسلامية وخاصة في الأندلس، مسمى תור הזהב أي "العصر الذهبي" الذي تأثر فيه أعضاء الجماعات اليهودية بالحضارة والفنون والآداب العربية وقلدوها؛ نظرا لأنّها شهدت أفضل ما كُتب في تاريخ الأدب العبري والفكر اليهودي[9].

تحدد المصادر اليهودية العصر الذهبي תור הזהב [10] بأنّه فترة القرون المنتمية للعصور الوسطى التي عاشتها الجماعات اليهودية تحت حكم الخلافة الإسلامية في الأندلس لاسيما في قرطبة. ويحدد أغلب المؤرخين اليهود هذه الفترة بما بين القرنين 9 ميلادي إلى 13 ميلادي[11]. وهي فترة وقعت أغلبها تحت حكم المسلمين الذين حكموا شبه الجزيرة الأيبرية، حيث استغل اليهود في الأندلس حالة التسامح الإسلامية غير المسبوقة وتمكنوا من أداء أدوار حيوية ومميزة على الساحتين الثقافية والسياسية تحت الحكم الإسلامي[12].

كان للمدرسة الثقافية اليهودية في قرطبة خلال هذا العصر الذهبي، الدور الكبير في نقل المعارف العربية والإسلامية إلى الغرب والعكس أيضًا، فقد اشتهرت بعلمائها اليهود من المترجمن واللغويين وكان من

---

[8] حول اليهود جماعةً وظيفيةً، يمكنك العودة إلى: عبد الوهاب المسيري(د)، موسوعة اليهود واليهودية..... والصهيونية، دار الشروق، القاهرة 1999.المجلد الأول، ص ص 181-205. وانظر أيضا: عبد الوهاب المسيري(د)، التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، كتاب الهلال، القاهرة، 2004. ص 34

[9] ח. ב. בן ששון, תולדות עם ישראל, מצדה, תל אביב 1951. עמ' 16

[10] للمزيد حول الكتابات اليهودية عن "العصر الذهبي: انظر على سبيل المثال: Salo. W. Baron. A Social and Religion History of the Jews vol iii, Colombia Univ.Press, N.Y 4th printing 1967.p119.

[11] ספרות האמונה בימי הביניים, שעור מפי הרב אורי שרקי, מתוך הסדרה מבוא לתורה שבעל פה, אתר מכון מאיר.

[12] http: //he.wikipedia.org/wiki/תור_הזהב_בספרד

أشهرهم مناحيم بن ساروق[13] الذي ألف عددًا من المؤلفات في مجال اللغويات باللغتين العربية واللاتينية، بل والآرامية أيضًا، وكذلك حسداي بن شفروط[14] الذي كان حاخامًا أكبر لليهود في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر في قرطبة، والذي امتلك مكتبة كبيرة غنية بالكتب تكونت من خلالها أكاديمية كبيرة متعددة اللغات والثقافات وكانت بمثابة مركز تواصل حضاري بين الثقافتين العربية والغربية في الأندلس[15].

وشهدت هذه الفترة التاريخية أيضًا نقل الكثير من المعارف الإسلامية لاسيما المتعلقة بالفلسفة إلى اللغة العبرية ومن ثم إلى اللغة اللاتينية، حتى أنّ بعض مؤلفات الفيلسوف الإسلامي ابن رشد لا توجد منها نسخة إلا بالعبرية، فقد كان لأعماله تأثير لا يُنسى في الفلسفة اليهودية، خاصةً على الفيلسوف اليهودي جرسونيدس Gersonides[16]الذي كتب شروحاً فرعية على العديد من أعمال ابن رشد[17].

بالتالي نجد أن الحضور اليهودي في البيئة الأندلسية خلال فترة العصور الوسطى، التي كان يحكم بها المسلمون هذه المنطقة المتقاطعة جغرافيًّا بين أفريقيا وأوروبا وبين العالمين الإسلامي والغربي، كان له أكبر الأثر في ازدهار الحياة الأدبية والثقافية لليهود، ومن ثم قيامهم- أي اليهود- بدور فعال في التواصل بين الثقافتين العربية والغربية.

فيمكن القول إنّ العصر الذهبي لليهود תור הזהב تحت الحكم الإسلامي في الأندلس، مَكّن اليهود من تكوين خبرة كبيرة بالثقافتين العربية الإسلامية والمسيحية الغربية، أهلتهم للقيام بدور الوسيط بين الحضارتين والثقافتين؛ إذ تعد البيئة الأندلسية الإسلامية في العصور الوسطي هي المُكون الأساسي للثقافة اليهودية الزاهرة في هذه الفترة، والعامل الذي مكن اليهود من الانفتاح على الثقافة الإسلامية والمسيحية الأوروبية في آن واحد، وهذا الوضع الخاص باليهود في هذه الفترة بقاعدته الإسلامية العربية وتمازجاته الغربية الأوروبية مكن اليهود

---

13 مناحم بن ساروق מנחם בן סרוק(920-970 م): لغوي ومترجم يهودي، عاش خلال العصر الذهبي لليهود في الأندلس، ومن أشهر مؤلفاته "מחברת מנחם"وكذلك قاموس عبري – عبري للعهد القديم. وهو من مواليد ميدنة سرقسطه لأسرة يهودية متوسطة المستوى تعمل بالتجارة، إلا أنّه اشتهر عن أسرته الاهتمام بالعلم وترجمة العلوم العربية وتعلم اللغات. (للمزيد، انظر: מרדכי מרגליות (עורך כללי), "מנחם בן סרוק", אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, תל אביב: י' צ'צ'יק, תש"ו, עמ' 1053-1055)

14 حسداي بن شفروط חסדאי בן שפרוט(915-975): طبيب ولغوي ومستشار سياسي يهودي عاش في الأندلس، وتحديدًا في مدينة قرطبة، وكان من أوائل اليهود الذين تقلدوا منصب الوزارة في الدولة الإسلامية، وكان على دراية كاملة باللغات العربية والعبرية واللاتينية وترجم عددًا كبيرًا من كتب الطب من اللاتينية إلى العربية (انظر: אברהם אשתורי, חסדאי אבן שפרוט, האנציקלופדיה העברית, כרך יז, עמ' 736 – 737).

15 عبد الرازق أحمد قنديل(د). أثر الشعر العربى في الشعر العبري الأندلسى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2001، ص 34

16 جرسونيدس Gersonides(1288-1344): فيلسوف وعالم تلمودي ورياضياتي وفلكي. ولد في باينول في لانجيدوك، فرنسا.كان جزء من كتاباته عبارة عن تعليقات على أعمال أرسطو المعروفة آنذاك، أو بالأحرى تعليقات على تعليقات ابن رشد. إلا أنّ عمله الأهم الذي جعل له مكانًا في تاريخ الفلسفة، "Sefer Milhamot Ha-Shem" ("حروب الرب")، والذي كتبه في إثني عشر عامًا (1317-1329). (انظر: Hersh Goldwurm (2001). The Rishonim: biographical sketches of the prominent early rabbinic sages and leaders from the tenth-fifteenth centuries. (Brooklyn: Mesorah Publications

17 محمد عابد الجابري(د): ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، قطر، مارس 2013، ص 127

دون غيرهم من بين الأقليات الأخرى التي كانت تعيش في ظل الثقافة الإسلامية العربية من القيام بدور الناقل الحضاري والوسيط الثقافي بين الثقافتين العربية والغربية، فكان اليهود حلقة الاتصال بين الغرب والثقافة الإسلامية خاصة قبل أن يهتم الغرب بالثقافة والحضارة الإسلامية والعربية اهتمامًا كبيرًا ومباشرًا وينقل عنها مباشرة أو يترجم من العربية إلى اللاتينية مباشرة، فكان يتم النقل من العبرية أو السريانية أولاً ومن ثم إلى اللاتينية بواسطة اليهود الخابرين بالعبرية والعربية واللاتينية في آن واحد[18].

2- التعايش اليهودي في المجتمعات الإسلامية

لم يكن الحضور أو التعايش اليهودي في المجتمعات الإسلامية قاصرًا على الأندلس خلال فترة العصور الوسطى وحسب، بل شهدت المجتمعات والمراكز الثقافية والحضارية الإسلامية والعربية تعايشًا وتفاعلاً يهوديًا خلال العصور الوسطى وفي فترات تارخية أخرى مختلفة، وكانت بغداد ومصر واليمن والمغرب الإسلامي من أبرز الحواضر والمراكز الثقافية والحضارية الإسلامية التي شهدت تعايشًا يهوديًّا بخلاف الأندلس، وهو ما أتاح لليهود فرصة قوية لتعلم العربية جيدًا، والخبرة بكل ما يتعلق بها ومعرفة الثقافة العربية عن قرب، ومن ثم نقلها إلى الغرب في هذه الفترة التاريخية (العصور الوسطى) والفترات التاريخية الأخرى اللاحقة عليها.

فقد تبنى اليهود العادات والتقاليد الإسلامية وتحدثوا العربية التي أتقنوها بل كتبوا بها جزءًا كبيرًا من تراثهم الديني وعلومهم الدنيوية[19]، واختلطوا بالمجتمع الإسلامي على الرغم من نزوعهم إلى الانعزالية وميلهم إلى العيش في تجمعات انعزالية داخل هذه المجتمعات، التي أخذت عدة أشكال وأنماط (حارة اليهود في مصر، قاع اليهود باليمن، الملاحات بالمغرب[20]).

هذا الوضع المتميز لليهود داخل المجتمعات الإسلامية جعلهم الوسيط الأكثر ملاءمة بين الثقافتين العربية والغربية على كل المستويات؛ إذ تمتعوا بميزة الخبرة بشؤون المجتمعات الإسلامية التي عاشوا بين ظهرانيها ومعارفها وثقافاتها، وفي الوقت نفسه حرصهم على القيام بترجمة هذه الثقافات والمعارف سواء للغتهم العبرية أو إلى اللاتينية واللغات الأوروبية الغربية الأخرى. وقبل ذلك ترجمة العلوم الإغريقية باللاتينية إلى اللغة العربية.

[18] أنظر: محمد خليفة حسن (د): المدرسة اليهودية في الاستشراق، مجلة رسالة المشرق، الأعداد 1-4، المجلد 12، القاهرة 2003، ص 24

[19] محمد خليفة حسن(د): المدرسة اليهودية في الاستشراق، مرجع سابق، ص ص 18-19

[20] للمزيد حول المجتمعات الانعزالية اليهودية، انظر: جمال عبد السميع الشاذلي(د) التاريخ اليهودي، تاريخ اليهودي في أوروبا والشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2001، ص ص 3-51

3- الشتات اليهودي דיאספורה

يُضاف إلى ما سبق أنّ الشتات الذي تعرض لـه اليهود (**דיאספורה**[21]) ثلاث مرات على مر تاريخهم في فترات تاريخية مختلفة سواء قبل الميلاد أو بعد الميلاد، مكنهم من الاستقرار في مناطق جغرافية عدة غطت الكثير من المناطق والمراكز الثقافية الإسلامية العربية والغربية على حد سواء.

فقد تعرض اليهود عامة، للسبي والشتات الآشوري ما بين عامي 825-860ق.م، وتعرضوا للسبي والشتات البابلي عام 58 ق م، كما تعرضوا للسبي والشتات الروماني عام 70 ميلادية[22].

بالتالي نجد أنّه قديمًا قبل ظهور الإسلام استقبلت منطقة بلاد ما بين النهرين أعدادًا ضخمة من اليهود الذين تم تهجيرهم على أيدي المملكتين الآشورية والبابلية، بل اتجه بعض اليهود إلى شبه الجزيرة العربية، في حين أدى السبي الروماني إلى شتات الكثير من اليهود ونزوحهم إلى شمال أفريقيا وإلى مناطق عدة من بين مناطق الامبراطورية الرومانية في أوروبا، مما أدى إلى تكون جاليات أو جماعات يهودية في الشرق والغرب متشبعة بثقافة كل منطقة جغرافية تقطن بها، وبهذا تسبب هذا السبي والشتات المتكرر في حياة اليهود إلى نمو الجماعات والأقليات اليهودية بين المجتمعات الغربية والعربية في آن واحد وظهرت ثقافات يهودية مختلفة ومتنوعة[23].

في هذا الصدد، فإنّ بعض المختصين يرون أن الشتات اليهودي جعل من الشخصية اليهودية أكثر شخصية خبيرة بشؤون العالمين العربي والغربي وثقافتهما تقريبًا، خاصة بسبب السبي أو الشتات الروماني الذي كان الأكبر والأكثر تأثيرًا في انتشار اليهود في بقاع كثيرة من العالمين العربي والغربي، وتكون جاليات أو جماعات يهودية مشبعة بثقافات ومعارف مختلفة، لاسيما في العالم الإسلامي الذي حظي به اليهود بقدر كبير من التسامح مكنهم من تعلم لغات هذا العالم الأساسية (العربية، الفارسية، التركية)[24].

---

[21] דיאספורה الشتات (باليونانية διασπορά)، دياسبورا، مصطلح يطلق على أماكن وجود شعوب مهاجرة من أوطانها في مناطق مختلفة من العالم ليصبحوا مشتتين فيها بمثابة مجموعات متباعدة، ويتفاعلون فيما بينهم بمختلف الوسائل للتنسيق لمحاولة العودة إلى أوطانهم.

أول من استخدم هذا الاصطلاح بمسماه الغربي هم الإغريق ولكنهم عَبّروا به عن أبنائهم الذين ذهبوا ليستعمروا البلاد التي فتحوها وسيطروا عليها. ولكن العهد القديم استخدم هذا المصطلح عن اليهود بعد أن سباهم نبوخذ نصر البابلي. (انظر: Barclay, John M. G., (ed.), *Negotiating Diaspora: Jewish Strategies in the Roman Empire*, Continuum International Publishing Group, 2004)

[22] أنظر: محمد خليفة حسن (د): تاريخ الديانة اليهودية، بدون ناشر، القاهرة، 1996، ص ص 25-124

[23] محمد خليفة حسن(د): المدرسة اليهودية في الاستشراق، مرجع سابق، ص 19

[24] المرجع نفسه، ص 20

بالتالي يمكن القول إنّ "الشتات اليهودي **דיאספורה**" من حيث هو ظاهرة اتسم بها التاريخ العام للجماعات اليهودية حول العالم، كان مسؤولاً عن أن يكون اليهود من أكثر الجماعات المؤهلة للقيام بدور "الوسيط" بين الحضارات، نظرًا لشتاتهم وانتشارهم في مجتمعات مختلفة ومتباينة الثقافات والمعارف بين الشرق والغرب، ونظرًا لخبراتهم بشؤون العالمين العربي الإسلامي والغربي المسيحي في آن واحد. إضافةً إلى أنّ الشتات مكنهم من اكتساب العديد من لغات وثقافات الشعوب التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها مع احتفاظهم بمعرفتهم بالعبرية، مما مكنهم من أداء دور حيوي وبارز في حركة الترجمة بين الحضارات المختلفة.

4- التعددية اللغوية لليهود

لعب الشتات اليهودي دورًا كبيرًا في تكون ظاهرة "التعددية اللغوية" لدى الجماعات اليهودية في الشرق والغرب؛ إذ لم تكن العبرية هي اللغة الوحيدة التي تحدث بها اليهود على مر تاريخهم، بل تحدثوا بها لفترة تاريخية قليلة ومحدودة[25]، وتحدثوا بلغات الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها، بل وطوروا عددًا من اللغات التي تسمى بـ(اللغات الخليطية)؛ نظرًا لأنّها تتكون من خليط من اللغة العبرية ولغات الشعوب التي كان اليهود يعيشون بين ظهرانيها، وكان هدف اليهود من وراء ذلك- في رأينا- هو تطوير لغات يفهمها أعضاء الجماعات اليهودية دون غيرهم.

فالجماعات اليهودية لم تتحدث (العبرية) وحسب، وهي التي ارتبطت بتراثهم الديني والطقسي أكثر من ارتباطها بتراثهم العلمي والدنيوي، بل تحدثوا لغات أخرى كثيرة مثل (الآرامية والعربية واليونانية والفارسية) كذلك إلى جانب (العبرية)؛ فلغة الآباء (إبراهيم وإسحق ويعقوب) عند اليهود (2100.ـ1200 ق.م) كانت (لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية)، أما (العبرية) فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية ولم يتخذها اليهود لسانًا لهم إلا بعد إقامتهم في كنعان ابتداءً من 1250 ق.م[26].

أما اللغات التي كان يستخدمها أعضاء الجماعات اليهودية في تعاملهم مع الآخرين بعد انتشارهم في العالم، فكانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذي استقروا فيه وانتموا إليه، أو إحدى اللغات الدولية السائدة على مستوى العالم؛ فكان يهود بابل يتحدثون (الآرامية)، لغة التجارة الدولية والإدارة في الشرق الأدنى القديم. وكان

---

[25] حول تاريخ اللغة العبرية وعلاقتها باليهود، انظر: حاييم رابين، تاريخ اللغة العبرية، ترجمة / طالب القريشي(د)، مراجعة/ رضا الموسوي (د)، بيت الحكمة، بغداد، 2010

[26] انظر: عبد الوهاب المسيري(د) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد الثالث، الجزء الثاني، الباب العاشر "لهجات أعضاء الجماعات اليهودية ولغاتهم"، ص ص 342-325

يهود الإسكندرية في العصر الهلليني يتحدثون (اليونانية)، كما أنّ يهود فلسطين كانوا يتكلمون إمّا (الآرامية أو اليونانية)[27].

من أمثلة اللغات الخليطية التي طورتها الجماعات اليهودية وتحدثت وكتبت بها إنتاجها الفكري، لغة (اليديش) التي عُرف بها اليهود في شرق أوروبا منذ القرن الـ18، وهي لغة خليطية من العبرية وعدد من اللغات السلافية. وكذلك لغة (اللادينو)، وهي إحدى اللهجات الأسبانية التي تحدث بها اليهود السفاراد أي الشرقيون[28]، وعُرف اليهود بها إبان وجودهم في أسبانيا. كما طور اليهود (اللغة العربية – اليهودية)، التي كتبوا بها إنتاجهم الأدبي والفكري في العصور الوسطى التي شهدت احتكاكًا قويًّا بينهم وبين العرب المسلمين في العراق والأندلس[29].

كان للغة (العربية – اليهودية)، تحديدًا دور كبير في قيام الجماعات اليهودية بنقل المعارف الإغريقية باللاتينية إلى العربية والعكس؛ فقد استخدم أعضاء الجماعات اليهودية هذه اللغة وهي لغة عربية مكتوبة بحرف عربي، وترجموا لها الكثير من الكتب والمعارف العربية بهدف الحفاظ على تراثهم الفكري المشبع بالثقافة العربية الإسلامية الذي طوروه إبّان وجودهم تحت الحكم الإسلامي في منطقة شبه الجزيرة الأيبرية.

علاوة على ماسبق، فإنّ الجماعات اليهودية في أوروبا تحديدًا، طوروا ما بات يُعرف بـ(اللغات اليهودية الرومنسية)، وهي لغات مشتقة من لغات رومنسية أوروربية طورها اليهود في أوروبا لتكون لغات مستقلة بذاتها، مثل (اليهودية الكاتالانية)، التي يتحدث بها اليهود في شمال شرق أسبانيا إلى الآن، واليهودية الإيطالية أو (الإيطاليكان) ويتحدث بها يهود إيطاليا، واللغة (اليهودية الآراغونية) المستخدمة في وسط أسبانيا، واللغة (اليهودية اللاتينية) التي تغطي عددًا من المناطق الجغرافية وتحوي أشكالاً متنوعة من اليهودية اللاتينية[30].

كذلك اللغة (اليهودية البرتغالية) وهي لغة كان اليهود بالبرتغال يستخدمونها، ولغة (الشوآديت)، وهي لغة اليهود الآوكاتنيين المتأثرة بالعبرية والتي انتشرت في كافة مناطق جنوب فرنسا في العصور الوسطى.

---

[27] المرجع نفسه.

[28] History of the Hebrew Language. Cambridge University Press. ISBN 0-521-55634-1.

[29] انظر: http: //he.wikipedia./ערבית_יהודית

[30] لغات_رومنسية_يهوديةhttp://ar.wikipedia.org/wiki/

وأيضا اللغة (الزرافاتية)، أو اليهودية الفرنسية، هي لغة يهودية مندثرة كانت تستعمل في شمال فرنسا في العصور الوسطى[31].

يبدو واضحًا أنّ هذه التعددية اللغوية التي ميزت تاريخ أعضاء الجماعات اليهودية حول العالم، مكنتهم من الاضطلاع بدور كبير بحركة الترجمة التي انتشرت بين الشرق والغرب في فترات تاريخية متعددة، وتحديدًا الترجمة بين العربية واللاتينية؛ نظرًا لمعرفتهم الواسعة بأكثر من لغة في الوقت نفسه، بل وتطويرهم للغات خليطية تجمع بين أكثر من لغة. وهو ما تبدى في وجود كتب كثيرة لعدد من المعارف والعلوم، ولاسيما في الطب والفلسفة مترجمة بواسطة يهود إلى اللغة اليهودية العربية، ومترجمة من اللاتينية إلى العربية بواسطة يهود.

5- القرابة اللغوية بين العربية والعبرية

تشترك العبرية والعربية في الفرع اللغوي نفس للأسرة اللغوية ذاتها، إذ تنتسبان إلى فرع اللغات السامية الذي هو واحد من أهم فروع أسرة اللغات الآفروآسيوية[32].

تعد العبرية من ضمن اللغات السامية، التي تنسب إلى بني إسرائيل وبعض الشعوب التي تربطهم صلات دموية بهم كبني إسماعيل وبني مدين[33]. وقد أخذت اللغة العبرية العديد من الأسماء، فهي: لغة كنعانשפת כנען (وهو اسم وارد في التوراة)، واللغة اليهودية שפה יהודית (كونها لغة مهمة في الديانة اليهودية)، واللغة المقدسة שפה קדושה (حيث تعد بالتوراة لغة مقدسة؛ بسبب كتابة التوراة بها)، لكن أشهر الأسماء لها هي اللغة العبرية؛ فقد سُميت بهذا الاسم نسبة إلى العبرانيين الذين حملوا اللغة من بعد الكنعانيين[34].

سُجل باللغة العبرية معظم أسفار العهد القديم وكذلك التلمود ومعظم الكتب الدينية اليهودية المقدسة، كما اكتشف أنّ عبرية العهد القديم تشابه إلى حد كبير لغات قديمة تم اكتشافها في حفريات ومنها، اللغة العمونية[35].

---

[31] المرجع نفسه.

[32] لمزيد من التحقق، انظر أبراهام باريوسيف، اللغات السامية، ترجمة عمرو زكريا، منشورات أكاديمية آفاق للدراسات الإعلامية والأكاديمية، القاهرة، 2001، ص ص 1-4

[33] يسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1929، ص 77

[34] Hoffman, Joel M, In the Beginning: A Short History of the Hebrew Language, New York: NYU Press1999, pp12-15

[35] حاييم رابين، المرجع السابق، ص ص 8-12

كانت اللغة العبرية، بلهجاتها وروافدها المختلفة، لغة الحديث والكتابة والإبداع، فى فترتى الهيكل الأول والثانى. توقف استخدامها فى العصور الوسطى، بعد الخروج إلى المنفى أو الشتات، لغةً للحديث واستمرت لغةً للكتابة والابداع الأدبى. بدأ تدريسها فى المعاهد الخاصة فى الجاليات المختلفة. أما فى العصر الحديث، بداية من عصر الهسكالاه (عصر التنوير اليهودي في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين)، تحولت اللغة العبرية تدريجيًا من لغة كتابة وإبداع أدبي إلى لغة كتابة وإبداع أدبي وحوار على السواء مثلما كان فى فترتي الهيكل الأول والثانى[36].

تشترك العربية والعبرية في الكثير من الجذور اللغوية والمصطلحات والأسماء، فمعظم المختصين اللغويين في "الساميات"، يرون أنّ العربية والعبرية فرعان من جذع، وفيض واحد من نبع، لم يختلفا شربًا أو مسقًى وإن باين بينهما الملتقى، ولكنه ما أسرع أن يجمع بينهما، ويرحب بهما، يذكرهما بما لهما في بعض من أمارات، وعلامات وسمات، يقول لهما ارجعا إلى العلم بحثًا وتنقيبًا، وقربًا بينكما من المعرفة تقريبًا، فلا يلبثا أن يتراءيا كالمرآة والمرئى[37].

من أمثلة وجود تشابهات كثيرة بين العبرية والعربية، تلك المتمثلة في وجود ثروة لغوية مشتركة من كلمات أساسية مرتبطة بالحياة الأسرية وأعضاء الجسم والحياة اليومية والأعداد وحروف الجر، مثل: אב أب , אוזן أذن ,אח أخ ,אחות أخت ,ארץ أرض ,חמור حمار ,יד يد ,ים اليم ,כלב كلب ,לילה ليلة ,מים ماء ,עין عين ,עץ شجرة ,ראש رأس ,רגל رجل ,שור ثور ,שמים سماء[38].

بناءً على ماسبق، فقد صار من العرف لدى علماء الساميات أنّ القرابة بين العربية والعبرية واضحة المعالم أصواتًا وصرفًا ونحوًا ومعجمًا، ومن البديهي أنّ معرفة واحدة منهما تشكل أرضية هامة في تعلم اللغة الثانية[39].

وقد يسرت هذه القرابة اللغوية وأوجه الشبه الكبيرة بين العبريّة والعربيّة، على اليهود العارفين بالعبرية، معرفة العربية بل والنقل والترجمة منها وإليها وبالتالي القيام بدور وسيط حضاري بين الثقافتين العربية والغربية.

[36] חומסקי, זאס: הלשון העברית בדרכי התפתחותה، הוצאת ראובן מס ירושלים, 1967، עמ' 27 – 36

[37] مراد فرج، ملتقى اللغتين العبرية والعربية، المطبعة الرحمانية، مصر، 1930، الجزء الأول، ص ص 2-3

[38] גושן גוטשטיין.: הלשון העברית והלשונות השמיות. הוצאת דביר (תל-אביב- 1962). עמ' 12-13

[39] יוסף דנה, העברית על רקע הערבית, מפגש של לשונות אחיות. המכללה להכשרת מורים ערביים, אגף הפרסומים. כל הזכויות שמורות, 1995, עמ' 111

ثانيا: دور "العبرية" في مراحل ترجمة العلوم العربية (الإسلامية) واللاتينية (الغربية)

يمكن إجمال دور "العبرية" في التواصل بين الثقافتين العربية والغربية، من خلال عدة مراحل من نقل المعارف العربية والإسلامية وترجمتها إلى اللغات اللاتينية والأوروبية المختلفة، والتي انحصرت في أربع مراحل، وهي:

1- مرحلة ترجمة الفكر الإغريقي إلى العربية إما مباشرة أو عن طريق السريانية أو العبرية.

2- مرحلة ترجمة الفكر العربي- الإسلامي إلى اللغة اللاتينية مباشرة.

3- مرحلة ترجمة الفكر العربي- الإسلامي إلى العبرية أو إلى (اليهودية العربية).

4- مرحلة ترجمة الفكر العربي- الإسلامي من العبرية إلى اللاتينية[40].

بالنسبة إلى المرحلة الأولى (**مرحلة ترجمة الفكر الإغريقي إلى العربية إما مباشرة أو عن طريق السُريانية أو العبرية)** فهي - من وجهة نظرنا - كانت "ضرورة حضارية" قوية؛ فالحضارة الإسلامية - العربية الناشئة كانت بحاجة قوية إلى نقل المعارف الغربية اللاتينية إليها وترجمتها، وكان السُريان المسيحيون واليهود من أقوى الأقليات المرشحة للقيام بهذا الدور من بين الأقليات التي أصبحت تحت حكم الدولة الإسلامية العربية الناشئة في الشرق الأدنى القديم.

فالسُريان كانوا من أكثر الأقليات المسيحية التي تعيش بالشرق علمًا بالمعارف الإغريقية، وعلى الرغم من أنّ السُريانية هي لغة طوائف الآشوريين والكلدانيين والسُريان المنتشرة بالعراق وسوريا خاصة؛ إلا أنّها كانت لغة الكثير من رجال الدين المسيحيين من العرب مثل إسحاق النينوي وإيليا الحيري[41].

ويشير الباحثون إلى وجود اتصال تاريخي دائم وضارب في القدم بين اللغة السُريانية واللغة العربية نتيجة الهجرة والتبادل التجاري والثقافي بين بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، غير أنّ التمازج الأعمق بين اللغتين لم يتم إلا في أعقاب قيام الدولة الأموية؛ فخلال المرحلة الأولى ظلت السُريانية لغة الدواوين وهيئات الدولة حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[42].

---

[40] أنظر: أحمد شحلان (د)، التراث العبري في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006، ص 171

[41] بطرس نباتي، دور المدارس وعلماء السريان في الحضارة العربية، وزارة الشباب والثقافة، حكومة إقليم كردستان العراق، مارس 2010، ص 35

[42] المرجع نفسه.

وقد امتاز السُريان بوفرة ترجماتهم وسعة مساهماتهم، سواء ما ترجموه إلى لغتهم من الإغريقية أو منها إلى اللغة العربية مع توخي الدقة والأمانة على الرغم من الصعوبات والمشاكل التي جابهتهم[43].

يُذكر في هذا الصدد، أنّ السُريانية احتلت هذه المكانة في تاريخ الحضارة الإنسانية في هذه المرحلة التاريخية؛ نظرًا لأنّها لغة منشقة عن اللغة الآرامية التي كانت هي لغة الحضارات القديمة لاسيما الحضارة الفارسية في منطقة الشرق الأدنى القديم، وكانت هي لغة الدواوين والدولة في منطقة جغرافية كبيرة جدًّا غطت مساحة الشرق الأدنى القديم بأكمله، فانقسمت إلى عدة لهجات ولغات وكان من ضمنها السُريانية، التي سماها بهذا الاسم المسيحيون؛ نظرًا لكراهتم إطلاق تسمية الآرامية على لغتهم لارتباط الآرامية بالوثنية[44]. ويقول المختصون إنّ الآرامية اتسمت بمرونتها اللغوية وسرعة انتشارها مما جعلها اللغة الأولى في الشرق الأدنى القديم وورثتها في ذلك السُريانية[45].

وحول دور السُريانية تحديدًا في النقل إلى العربية من الإغريقية، يذهب بعضهم إلى أنه في البداية كان يتم النقل من الإغريقية إلى السُريانية، لأنّها كانت أقرب منالاً في العالم الإسلامي، ولأنّ معرفة السُريانية كانت أكثر شيوعًا من معرفة الإغريقية ثم رغب العرب في الحصول على الترجمات المباشرة عن الإغريقية بعد أن لمسوا قصور الترجمات المزدوجة[46].

من أبرز المترجمين السُريان في هذا الحقل، كان العالم والطبيب السرياني العراقي (سرجيوس الرأس عيني) المتوفّى 536 م، وكان أول شخصية علمية شهيرة لدى الناطقين بالسُريانية ولم يكن نسطوريًّا، بل كان قسًا سريانيًا أرثوذكسيًا، ومرجعًا لأطباء العراق. وهو الذي شرع في ترجمة آثار الإغريق الطبّية إلى اللغة السُريانية، ونسبت إليه تراجم عديدة لآراء الطبيب اليوناني الشهير (جالينوس)[47].

ترجم علماء السريان كذلك مؤلفاتهم في الفلسفة والأدب واللاهوت ومختلف العلوم كالطب والفلك. ومن خيرة المؤلفات من اللغة اليونانية (الإغريقية) إلى اللغة السُريانية ثم إلى العربية، منها

---

[43] حسين قاسم العزيز، دور المراكز الثقافية السريانية في تفاعل العرب والمسلمين الحضاري، المؤسسة الأمريكية للدراسات السريانية، سان فرانسيسكو، الولايات المتحدة، 2009، ص 26

[44] زاكية رشدي(د)، اللغة السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2001، ص ص 1-7

[45] المرجع نفسه.

[46] حسين قاسم العزيز. مرجع سابق، ص 30

[47] المرجع نفسه، ص ص 31-32

علـى سـبيل المثـال حكـم أفلاطـون ونصـائح الفيلسـوف تيـانو، نشـرها المستشـرق سـخاو[48] فـي المقـالات السُـريانية المخطوطـة والتـي ورد ذكرهـا فـي اللؤلـؤ المنثـور فـي تـاريخ العلـوم والآداب السـريانية لأغنـاطيوس أفـرام الأول برصـوم[49]، وخطـب فـي الـنفس وحِكـم منانـدس وسكسـتوس التـي نشـرها المستشـرق لاجـارد[50] مترجمـة عـن السُـريانية، ومحـاورة فـي الـذات البشـرية بـين سـقراط وأرسـتروفانيس، ومقـالات وبحـوث عديـدة فـي الفلسـفة والعلـوم منهـا رسـالة تحـوي مئـة واثنتـي عشـرة حكمة فيثاغورية مضافًا إليها شروحات بالسُريانية والعربية وقد تم نشرها في المجلة الآسيوية[51].

أما في الطب فقد عُني السريان عناية خاصة بالطب علمًا حيث زاولوه أكثر من ألف سنة، وقد ذكر ذلك ابن العبري بر عورايا[52] في مؤلفه تاريخ الزمان باللغة السُريانية وهو مترجم إلى العربية، حيث أسماهم بالأطباء النطاسين، ومنهم سرجيس الراسجيني وإثنوس وإطناس لاميرثي، ونُشرت أعمالهم في الطب في الجزء الرابع من دروس طورسين، كما ألف جبرائيل الرهاوي[53] بالسُريانية مؤلفات عديدة تعتبر من المراجع التي لا يستغنى عنها في دراسة العلوم القديمة حيث دونها في عام 1227 ميلادية[54].

وكان ابن العبري طبيبًا نطاسيًّا بلغ ذروة في صناعة الطب ومن آثاره وإبداعاته أنّه نقل كتاب ديوسقريس من اللاتينية في الأدوية وتحضيراتها، وألف أيضًا أربع كراريس في قانون ابن سينا في الطب

[48] كارل إدورد سَخَاوْ (1845 - 1930 م): مستشرق ألماني، أعد فهرس للمخطوطات السريانية في مكتبة برلين. أصبح أستاذًا سنة 1869 وفي سنة 1872 أصبح أستاذ كرسي في جامعة فينيا، وفي عام 1876 أصبح أستاذًا في جامعة برلين (انظر: الزركلي، خير الدين. سَخَاوْ. موسوعة الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992).

[49] أغناطيوس أفرام الأول برصوم (بالسريانية: ܩܕܝܫܘܬܗ ܕܡܪܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܡܪܝ ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܐܦܪܝܡ ܩܕܡܝܐ ܕܒܝܬ ܒܪܨܘܡ)(1887-1958) بطريرك أنطاكية للكنيسة السريانية الأرثوذكسية الـ 120، كان من كبار الفلاسفة والعلماء السريان، ومن المتقنين للغات العربية والسريانية والفرنسية والتركية.(انظر: يوحنا إبراهيم, إغناطيوس أفرام. دار ماردين، بيروت، 1996)

[50] لاجارد: مستشرق ألماني ولد في برلين 1827، كان على علم جيد بعدة لغات شرقية مثل العربية والسريانية والعبرية والقبطية، وترجم لها عدة مؤلفات وحقق عن هذه اللغات عدة مخطوطات. (انظر: أحمد زعفراني، المستشرقون الأوربيون في ختام القرن التاسع عشر، مقال منشور على موقع الحكواتي. (http: //al-hakawati.net/arabic/civilizations/book28a17.asp).

[51] سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، وزارة الثقافة، الكويت، 1986، ص 115

[52] جريجوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بابن العبري (بالسريانية: ܒܪ ܥܒܪܝܐ "بار عبريو"), ويعرف في أوروبا باسمه اللاتيني "Bar-Hebraeus". هو لاهوتي وفيلسوف وعالم سرياني ولد عام 1226 م في مدينة ملاطية، ولقب بابن العبري لأنّ جده أو والده قدم من قرية (عبرى) الواقعة قرب نهر الفرات. (انظر: بولس الفغالي، أبو الفرج ابن العبري: حياته وآثاره، مجلّة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانيّة تصدر عن كلّية التربية في الجامعة اللبنانية، السّنة15 ، العدد 88/23، عدد خاص "ابن العبري في المئوية السّابعة لوفاته"، ص 13)

[53] جبرائيل الرهاوي: طبيب ومترجم سرياني، ويعد من أشهر علماء السريان الذي كتبوا عن الطب في مرحلة القرون الوسطى. (انظر: يوسف جريس شحادة، أثر الكنيسة في الثقافة العربية، مجلة كلمتي، دار الثقافة المسحيية، بيروت، 1981، ص 145)

[54] حسين قاسم العزيز، مرجع سابق، ص 76

وكتابًا آخر جمع فيه الآراء الطبية وتُرجم إلى العربية، وكذلك شرح فصول أبيقراط وكتابًا آخر باسم منفعة الجسد ومسائل حنين بن إسحق[55] حتى باب الترياق[56].

أما أعضاء الجماعات اليهودية، فقد شرحنا في المحور الأول من البحث عوامل قيامهم بدور الوسيط بين الثقافتين العربية والغربية، وقد لعب اليهود في هذه المرحلة من مراحل نقل المعارف الإغريقية الغربية إلى العربية، دورًا مهمًّا إلى جانب الدور الذي قام به السُريان[57].

أبرز ما يُلاحظ في هذه المرحلة من مراحل الترجمة والنقل بين المعارف الغربية والعربية هو سيطرة الاهتمام بنقل معارف الإغريق وترجمتها في مجالي الفلسفة والطب دون غيرهما، وأنّ السُريان احتفظوا بنصيب الأسد في حركة الترجمة هذه متفوقين على اليهود، الذين لم يكن وضعهم- أي اليهود- داخل المجتمعات الإسلامية قد شهد تحسنًا وازدهارًا مثلما حدث في مرحلة تاريخية لاحقة في الأندلس تحت حكم الخلافة الإسلامية.

بالنسبة إلى المرحلة الثانية **(مرحلة ترجمة الفكر العربي- الإسلامي إلى اللغة اللاتينية مباشرة)**؛ فعلى الرغم من أنّ هذه المرحلة من بين المراحل سابقة الذكر لا تدخل في إطار بحثنا مباشرة، إلا أنّه من الضروري التعرض إلى نقطة مهمة جدًّا فيما يتعلق بهذه المرحلة نظرًا لعلاقتها المباشرة بموضوع بحثنا؛ إذ يرى بعضهم أنّ هذه المرحلة شهدت حركة وصل مهمة جدًّا كانت بمثابة نواة حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية مباشرة، وهي تبني اليهود وخصوصًا يهود الأندلس الفكر العربي الإسلامي والسير وراءه خطوة بخطوة، حتى ازدهرت حركة علمية ثقافية يهودية كبيرة في ظل رعاية الثقافة العربية الإسلامية وتحتها، ومن أبرز روادها من اليهود سعديا جاؤون[58] وسليمان بن جبيرول[59]، وهما من كبار علماء اليهود في هذه المرحلة[60].

---

[55] حنين ابن إسحق: طبيب ومترجم عراقي ولد في الحيرة عام 810، ألّف وترجم حنين في مجالات علمية متعددة أبرزها طب الجسم وطب العيون أو الكحالة وكذلك الصيدلة، أي امتحان الأدوية والعقاقير العشبية. مثلما اهتمّ بالطبيعيات والدين والأخلاق، وقد ألف فيها ثلاثة كتب بالإضافة إلى ترجمته التوراة على الأرجح، حسب النقل السبعيني إلا أنّ هذه الترجمة لم تصل إلينا (انظر: ماهر عبد القادر محمد. حنين بن إسحق: العصر الذهبي للترجمة. بيروت دار اليقظة العربية، 1988، ص 174).

[56] بطرس نباتي، مرجع سابق، ص 152

[57] أنظر مقال "حركة الترجمة والنقل... درس تاريخي" موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات. http://www.ziedan.com/research/targem.asp

[58] سعيد بن يوسف الفيومي (سعديا جاءون) (883-943)، وُلد في مصر (في قرية أبو صوير بالفيوم)، وتلقى في قريته تعليماً عربياً فتوفر له العديد من المعارف العربية الإسلامية في عصره، كما درس الكتاب المقدَّس والتلمود، أوّل من وضع فلسفة دينية يهودية متكاملة حول أسس العقيدة اليهودية، وأوّل من ترجم العهد القديم إلى العربية. (انظر: سلوى ناظم: سعديا جاؤون أول النحاة العبرانيين، ترجمة ودراسة للفصلين الثالث والخامس لكتب اللغة لسعديا جاؤون، مطبعة المدينة، مصر 1994م)

فقد ظهرت الكثير من المؤلفات الفلسفية والثقافية واللغوية اليهودية إمّا في لغتها العربية أو بلغة عربية لبست حُلة الحرف العبري (اليهودية- العربية)، واستمرت هذه المرحلة بوجود جوانب لقاء قوية بين الفكرين العربي الإسلامي والمسيحي الغربي وكان اللقاء من طليطلة تحديدًا في الأندلس، ثم تزايد التواصل الحضاري بسبب الحملات الصليبية المتكررة على الشرق العربي الإسلامي، وكانت الخطوة الأولى في هذه المرحلة هي البحث عن علوم الطب وترجمتها[61].

كان من أبرز المترجمين في هذه المرحلة ريموند Reymond رئيس أساقفة طليطلة، الذي أسس مجمعًا للمترجمين فيها رأسه دومينيك كوندزيفلي Dominiq Gondeisavli؛ إذ كان لهذا المجمع دور كبير في ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية؛ فقد ظهرت في هذه المرحلة تراجم أطلق عليها المختصون اسم "الترجمات الأولى لطليطلة"[62].

يذكر أنّ "طليطلة" تحديدًا احتلت من بين المراكز الثقافية الأندلسية هذا المركز المتميز في عملية التواصل الحضاري بين الشرق والغرب من خلال اليهود والعبرية، نظرًا لأنّ طليطلة بعد احتلالها من قبل الملك القشتالي ألفونسو السادس في العام 1085، أصبحت عاصمة الثقافة، كما ظل حكامها يحمون اليهود والعرب الذين اختاروا البقاء والاستقرار، ولذلك بقي النسيج الحضاري للمدينة عربيًا- عبرياً [63].

كان العنصر الأساسي والفعال في هذه الحركة من الترجمة هم من المسلمين المتنصرين ومن اليهود، حيث قاموا في الفترة الممتدة من القرون ما بين 12- 16 الميلادي بترجمة معظم العلوم العربية الإسلامية إلى اللاتينية وكان من أهمها علوم الطب والفلك والفلسفة، بل أصبحت فلسفة ابن رشد فلسفة الفكر اللاتيني الغربي خلال تلك الفترة التاريخية[64].

---

59 سليمان بن جبيرول: شاعر وفيلسوف يهودي أندلسي. كان أديبًا يدخل مجالس الأمراء وكبراء البلد، ليمدحهم من شعره فيجزلون له العطاء.كتب ابن جبيرول أعماله الفلسفية بالعربية، ثم تُرجمت هذه الأعمال إلى العبرية فيما بعد ومنها إلى اللاتينية حيث تركت أثراً في الفكر المسيحي. (انظر: محمد الفاسي، دراسات مغربية (من وحي البيّنة) سلسلة عيون، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1990م، ص 142).

60 أحمد شحلان(د)، مرجع سابق، ص 175

61 Elkhan Nathan Adler. catalog of Hebrew manuscripts in the collection of Cambridge. at the university press 1921, pp 121.

62 نقلاً عن أحمد شحلان(د)، مرجع سابق، ص 178

63 محمد جلوب الفرحان، ابن رشد ورصيد الحركة الرشدية العبرية واللاتينية، مجلة أوراق فلسفية جديدة، المجلد الأول، العدد الأول، القاهرة، ديسمبر 2011، ص ص 12-13

64 المرجع نفسه، ص ص 178-179

وتذكر بعض المصادر أنّ عدد المترجمين اليهود في هذه المرحلة كان كبيرًا جدًّا، بل إنّ هناك عائلات يهودية بأكملها اختصت بدور الترجمة من العربية إلى اللاتينية مباشرة أو إلى العبرية ومن ثم إلى اللاتينية وعدد من اللغات الأوروبية الحية الأخرى، ومن بينها عائلتا "تبون وقمحي" اليهوديتين[65].

مع سقوط الأندلس في أيدي القوط المسيحيين بدأت المرحلة الثالثة من مراحل التواصل بين الثقافتين العربية والغربية عن طريق الترجمة ونقل المعارف، وهي **(مرحلة الترجمة إلى العبرية أو العربية اليهودية)** والتي أعقبتها وتوازت معها المرحلة الرابعة والأخيرة وهي **(نقل المعارف العربية من العبرية واليهودية العربية إلى اللاتينية)**، فقد انتقل اليهود بإرثهم الثقافي والفلسفي الغني المكتوب بالعربية أو باليهودية- العربية أو حتى بالعبرية إلى أسبانيا المسيحية الجديدة أو إلى جنوب فرنسا وبعض الحواضر الأوروبية الغربية الأخرى، مما اضطر هؤلاء اليهود إلى نقل معارفهم وكتبهم الخاصة وما حملوه من إرث ثقافي ومعرفي إلى اللاتينية[66].

كان وراء هذه الحركة من الترجمة عدة دوافع، أهمها اهتمام العالم المسيحي البالغ بالمعارف العربية وضرورة ترجمتها مباشرة إلى اللغات اللاتينية المختلفة، حيث تُرجمت مؤلفات الفلاسفة العرب ومن أهمهم ابن رشد وابن سينا وكانت تتم الترجمة بواسطة اليهود إما اعتمادًا على النص العربي الأصلي أو بالاعتماد على الترجمات العبرية التي كانت تنقل حرفيًّا عن النصوص العربية[67].

يضاف إلى ما سبق، انتقال يهود الأندلس إلى مجتمعات لا تعرف لغتهم الأصلية وهي العربية، فاضطروا إلى نقل إرثهم الثقافي والمعرفي سواء المكتوب بالعربية أو بالعبرية أو بالعربية- اليهودية إلى اللغة اللاتينية وتم ذلك عن طريق الترجمة الحرفية أو الترجمة الشخصية، إضافة إلى اهتمام العالم المسيحي بهذه الترجمات ونقلها إلى اللاتينية[68].

يُلحظ أنّ الفليسوف المسلم ابن رشد كان واحدًا من أهم محاور اهتمام اليهود بالترجمة في هذه الفترة؛ فقد تُرجمت كل أعماله من العربية إلى العبرية ومن ثم إلى اللاتينية إلى درجة أنّ بعض الباحثين يرى أنّ كتب ابن رشد احتلت لدى اليهود في هذه المرحلة المرتبة الثانية لديهم بعد التوراة، ودل على ذلك كثرة النسخ العبرية

---

65 سليم شعشوع، تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام، دراسة في تراث اليهود في الدولة الإسلامية وخصوصًا الأندلس، دار ومكتبة بيبليون، بيروت 2007. ص ص 100-101

66 أحمد شحلان(د)، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المملكة المغربية، 1999، ص 121

67 أحمد شحلان(د)، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، مرجع سابق، ص 122

68 أحمد شحلان، التراث العبري في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، مرجع سابق، ص 179.

المترجمة لأعمال ابن رشد في الفلسفة وفي الطب، في حين أنّ أصولها العربية لم تعد موجودة، وفيما يبدو أنّ ذلك عائد نتيجة حرقها على أيدي بعض الحكام المسلمين، وكان من المترجمين اليهود لأعمال بن رشد في هذه المرحلة يعقوب مانتيو وأبراهام باول[69].

كان واضحًا أيضًا أنّ الفلسفة الإسلامية استحوذت على نصيب الأسد من بين الترجمات من العربية إلى اللاتينية في هذه المرحلة، فوفقًا لرأي مؤرخ الفلسفة جيون تيوفيل فإنّ أهم مَن حمل مذاهب العرب الفلسفية إلى المسيحيين هم اليهود، نقلوها من الأندلس، حيث كانت الهمم منصرفة بقوة إلى مدارسة العلوم[70]، وقد ساوى تيوفيل بين هذا الدور الذي لعبه المترجمون اليهود في نقل الفلسفة الإسلامية للغرب في هذه الفترة وبين الدور الذي لعبه المترجمون السريان في نقل الفلسفة والعلوم الغربية اللاتينية للشرق في فترة تاريخية سابقة من أمثال حنين بن إسحاق وابنه، وقسطا بن لوقا وغيرهم[71].

ويمكن القول إنّ العبرية واليهودية العربية لعبتا دورًا مهمًّا وكبيرًا في هذه الفترة في نقل المعرفة العلمية والفلسفية الإسلامية إلى الثقافة الغربية المسيحية، بل إنّ العبرية واليهودية العربية، كانتا بمثابة الناقل للفكر اليهودي المتأثر والمشبع بالفكر العربي الإسلامي إلى الغرب، ومن أبرز الأدلة على ذلك وجود ترجمات لكتب عبرية وعربية يهودية لكبار المفكرين والفلاسفة اليهود في هذه الفترة إلى اللاتينية، بل إنّ بعض الكتب تم ترجمته في مرحلة مبكرة إلى اللغة الفرنسية، ومنها كتاب الحدود والمراسيم لإسحق إسرائيل القيرواني، وكتاب מקור החיים معين الحياة لسليمان بن جبيرول ودلالة الحائرين لابن ميمون، وكتاب أوليات الحكمة لأبراهام بن عزرا[72].

ويرى بعضهم أنّه إذا كان لهذه المؤلفات اليهودية بالعبرية والعربية اليهودية أثر قوي في الالتقاء بين الحضارتين العربيّة الإسلامية والغربية، فإنّ الكتب اليهودية التي كُتبت بالعبرية وترجمت إلى اللاتينية وكانت عبارة عن شروح وتعليقات على كتب ومؤلفات عربية كان لها أثر أشد وأقوى في ذلك الالتقاء والتواصل بين الثقافتين العربية والغربية ومن بين هذه الكتب كتاب ابن فلقرا סגולות מלכים كنز الملوك، وهو تقليد ومحاكاة واضحة لكتاب المقاصد للغزالي[73].

---

[69] أحمد شحلان(د)، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، مرجع سابق، ص 153

[70] نقلاً عن سليم شعشوع، مرجع سابق، ص 107

[71] المرجع نفسه، ص 107

[72] أحمد شحلان، التراث العبري في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، مرجع سابق، ص 181

[73] المرجع نفسه.

قائمة المراجع:

أولاً- المراجع العربية

1- أحمد شحلان(د)، التراث العبري في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، مننشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006

2- أحمد شحلان(د)، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة والوراقة الوطنية، مركش، المملكة المغربية، 1999

3- بطرس نباتي، دور المدارس وعلماء السريان في الحضارة العربية، وزارة الشباب والثقافة، حكومة إقليم كردستان العراق، مارس 2010

4- بولس الفغالي، أبو الفرج ابن العبري: حياته وآثاره، مجلّة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانيّة تصدر عن كلّية التربية في الجامعة اللبنانية، السّنة 15، العدد 88/23، عدد خاص "ابن العبري في المئوية السّابعة لوفاته".

5- جمال عبد السميع الشاذلي(د) التاريخ اليهودي، تاريخ اليهودي في أوروبا والشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2001

6- حاييم رابين، تاريخ اللغة العبرية، ترجمة / طالب القريشي(د)، مراجعة/ رضا الموسوي (د)، بيت الحكمة، بغداد، 2010

7- حسين قاسم العزيز، دور المراكز الثقافية السريانية في تفاعل العرب والمسلمين الحضاري، المؤسسة الأمريكية للدراسات السريانية، سان فرانسيسكو، الولايات المتحدة، 2009

8- حسين مؤنس(د)، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997

9- خير الدين، الزركلي... موسوعة الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992

10- زاكية رشدي(د)، اللغة السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2001

11- سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، وزارة الثقافة، الكويت، 1986

12- سلوى ناظم: سعديا جاؤون أول النحاة العبرانيين، ترجمة ودراسة للفصلين الثالث والخامس لكتب اللغة لسعديا جاؤون، مطبعة المدينة، مصر 1994م

13- سليم شعشوع (د)، تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام، دراسة في تراث اليهود في الدولة الإسلامية وخصوصًا الأندلس، دار ومكتبة بيبليون، بيروت 2007

14- عبد الرازق أحمد قنديل (د)، أثر الشعر العربى فى الشعر العبري الأندلسى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2001

15- عبد الوهاب المسيري(د)، التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، كتاب الهلال، القاهرة، 2004

16- عبد الوهاب المسيري(د)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 1999

17- ماهر عبد القادر محمد. حنين بن إسحق: العصر الذهبي للترجمة. بيروت دار اليقظة العربية، 1988

18- مجلة العربي، وجهًا لوجه...د/ أحمد أبو زيد وجورج طرابيشي، العدد 475، الكويت، 1998

19- محمد جلوب الفرحان، ابن رشد ورصيد الحركة الرشدية العبرية واللاتينية، مجلة أوراق فلسفية جديدة، المجلد الأول، العدد الأول، القاهرة، ديسمبر 2011

20- محمد خليفة حسن (د): المدرسة اليهودية في الاستشراق، مجلة رسالة المشرق، الأعداد 1-4، المجلد 12، القاهرة 2003

21- محمد خليفة حسن (د): تاريخ الديانة اليهودية، بدون ناشر، القاهرة، 1996

22- محمد الفاسي، دراسات مغربية (من وحي البيِّنة) سلسلة عيون، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1990م.

23- محمد عابد الجابري(د): ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، قطر، مارس 2013

24- محمد عباسة: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، عدد 5-6، بيروت، 1999

25- محمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، 1986

26- مراد فرج، ملتقى اللغتين العبرية والعربية، الطبعة الرحمانية، مصر، 1930، الجزء الأول.

27- مرعي أبا زيد، حركة الترجمة في العصر الذهبي للحضارة العربية، مجلة الحوار المتمدن العدد 2609، بتاريخ 2009/4/7،

28- يسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1929

29- يوحنا إبراهيم, إغناطيوس أفرام. دار ماردين، بيروت، 1996

30- يوسف جريس شحادة، أثر الكنيسة في الثقافة العربية، مجلة كلمتي، دار الثقافة المسحيية، بيروت، 1981

ثانيًا- المراجع العبرية

1- גושן גוטשטיין.: הלשון העברית והלשונות השמיות. הוצאת דביר (תל-אביב- 1962).

2- ה. ב. בן ששון, תולדות עם ישראל, מצדה, תל אביב .1951

3- חומסקי, זאס: הלשון העברית בדרכי התפתחותה, הוצאת ראובן מס ירושלים, 1967

4- יוסף דנה, העברית על רקע הערבית, מפגש של לשונות אחיות. המכללה להכשרת מורים ערביים, אגף הפרסומים. כל הזכויות שמורות, תשנ''ה.

5- מרדכי מרגליות (עורך כללי), "מנחם בן סרוק", אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, תל אביב: י' צ'צ'יק, .1988

6- ספרות האמונה בימי הביניים, שעור מפי הרב אורי שרקי, מתוך הסדרה מבוא לתורה שבעל פה, אתר מכון מאיר.

ثالثًا- المراجع الأنجليزية

1- Barclay, John M. G., (ed.), Negotiating Diaspora: Jewish Strategies in the Roman Empire, Continuum International Publishing Group, 2004.

2- Elkhan Nathan Adler. Catalog of Hebrew manuscripts in the collection of Cambridge. At the university press 1921.

3- Hersh Goldwurm (2001). The Rishonim: biographical sketches of the prominent early rabbinic sages and leaders from the tenth-fifteenth centuries. Brooklyn: Mesorah Publications(

4-History of the Hebrew Language. Cambridge University Press. ISBN 0-521-55634-1.

5-Hoffman, Joel M, In the Beginning: A Short History of the Hebrew Language. New York: NYU Press1999

6- Salo. W. Baron. A Social and Religion History of the Jews vol iii, Colombia Univ.Press, N.Y 4th printing 1967.

رابعا- مواقع الأنترنت

ערבית_יהודית/.http: //he.wikipedia

/ http: //ar.wikipedia.org/wikiلغات_رومنسية_يهودية

http: //www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=168091

أحمد زعفراني، المستشرقون الأوربيون في ختام القرن التاسع عشر، مقال منشور على موقع الحكواتي. http: //al-hakawati.net/arabic/civilizations/book28a17.asp

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun_sm

 Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com